المطلب الرابع
بيان أدوات النِّداء

أولًا: التَّعريف بأدوات النِّداء:

قال الزَّمخشريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (المفصَّل): "حروف النِّداء هي: (يا) و(أيا) و(هيا) و(أي) و(الهمزة) و(وا). فالثَّلاثة الأول لنداء البعيد أو من هو بمنزلته من نائمٍ أو ساه، فإذا نودي بها من عداهم فلحرص المنادى على إقبال المدعو عليه، ومفاطنته لما يدعوه له. و(أي)، و(الهمزة) للقريب، و(وا) للنُّدبة خاصّة. وقول الدَّاعي: (يا رب) و(يا ألله)؛ استقصار منه لنفسه، وهضم لها واستبعاد عن مظانِّ القبول والاستماع، وإظهار للرَّغبة في الاستجابة بالجؤار"[1].

وعلى ذلك فإنَّ أدوات النِّداء متعدِّدة، فـ (الهمزة) للقريب، و(أي) لنداء القريب، أو القريب المحبَّب –كما سيأتي–، و(يا) لنداء البعيد المتوسِّط البعد، و(أيا) و(هيا) لنداء الشَّديد البعد.

قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وللمنادى النَّاء أو كالنَّاء يا ... وأي وآ كذا أيا ثم هيا

---

(١) المفصَّل في صنعة الإعراب (٤١٣/١)، وانظر: حاشية الصَّبان على شرح الأشموني (١٣٣/٣) فما بعد. وانظر: الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربي (ص:١٣٦)، البلاغة العربيَّة، للميداني (٢٤٠/١)، البلاغة فنونها وأفنانها، للدُّكتور فضل حسن عباس (١٦٧/١)، جواهر البلاغة (ص:٦٦– ٦٧)، نزهة الأعين النَّواظر (ص:٥٩٢).

والهمز للدَّاني ووا لمن ندب أو يا وغير وا لدى اللبس اجتنب[1]

قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا يخلو المنادى من أن يكون مندوبًا أو غيره؛ فإن كان غير مندوب فإما أن يكون بعيدًا أو في حكم البعيد كالنائم والساهي، أو قريبًا، فإن كان بعيدًا أو في حكمه فله من حروف النداء: (يا) و(أي) و(آ) و(هيا)، وإن كان قريبًا فله: الهمزة، نحو أزيد: أقبل، وإن كان مندوبًا، وهو المتفجع عليه أو المتوجع منه فله: (وا)، نحو: وازيداه وواظهراه، و(يا) أيضًا عند عدم التباسه بغير المندوب، فإن التبس تعينت (وا) وامتنعت (يا)"[2].

فأدوات النِّداء ثمان: (أَ)، (أَيْ)، (يَا)، (آ)، (آي)، (أَيَا)، (هَيَا)، (وَا).

أمَّا الهمزة [أَ] و(أَيْ) فلنِدَاء القريب.

وأمّا (أَيَا) و (هَيَا) و(آ) فلنداء البعيد.

وأمّا (يا) حرف لنداء البعيد حقيقةً أو حكمًا، وهي أكثر أحرفه استعمالًا، ولهذا لا يقدَّر عند الحذف سواها نحو: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [الأعراف:١٥١]، ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ [يوسف:٢٩]، ولا ينادى اسم الله عَزَّوَجَلَّ، وأيُّها وأيَّتُها إلا بها[3].

قال الزَّمخشريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "و(يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرَّجل بمن يناديه. وأمَّا نداء القريب فله (أي) و(الهمزة)، ثمَّ استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد، فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتَّأكيد المؤذن بأنَّ الخطاب الذي يتلوه معنيٌّ به جدًّا"[4].

---

(١) ألفية ابن مالك (ص:٤٩).

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/٢٥٦).

(٣) انظر: الإتقان (١/ ٥٢٧)، البرهان في علوم القرآن (٤/٤٤٥)، وانظر: الكليَّات (ص:٩٧٩)، مغني اللَّبيب (ص:٤٨٨)، وانظر: تاج العروس (٤٠/٥٥٥)، والمعجم الوسيط، باب (الياء) (٢/١٠٦٢)، القاموس المحيط (١/١٧٤٨).

(٤) الكشاف (١/٢٢٤)، وانظر أيضًا استعمال حرف النِّداء في (الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربي) (ص:١٣٦– ١٣٧).

وترد للتَّنبيه فتدخل على الفعل والحرف نحو: ﴿ألا يا اسجدوا﴾ [النمل:٢٥][(١)]، ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٢٦][(٢)]... -وسيأتي بيان ذلك-.

وتُسْتَعمل (وَا) للنُّدْبة، والنُّدبة هيَ التي يُنَادَى بها المندوبُ الْمُتَفجَّعُ عليه[(٣)]، وتُسْتَعْمَلُ في النُّدْبة أيضًا (يَا) عند أَمْنِ الالتباسِ بالنِّداء الحقيقي، نحو ما جاء من تفسير لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤] أن الألف ألف الندبة والهاء محذوفة، -وسيأتي بيان ذلك في موضعه-.

ثانيًا: تصرُّف البليغ في استعمال أدوات النِّداء:

"١ - قد يستعملُ البليغ أدوات النِّداء التي للقريب فينادي بها البعيد، لمعنىً يُريدُ الإشارة إليه، كأن يُريدَ الإشارَة إلَى أنَّ هذا البعيد في جَسَده هو قريب إلى قبله ونفسه حاضر في تصوُّره المستمر، وكأن يريد الإشارة إلى أنَّه لشدَّة سمعه وانتباهه وسرعة استجابته، كأنّه قريب، فهو لا يحتاج أن ينادى بأدوات نداءِ البعيد.

٢ - وقد يَسْتَعْمِلُ البليغ أدوات النِّداء التي للبعيد فينادي بها القريب، لمعنى يُريدُ الإشارة إليه، كأنْ يُريدَ أنّه رفيع المنزلة عالي المقام، فهو لارتفاع منزلته وبعد مقامه بمثابة البعيد إلى الأعلى في جسده، فاللاَّئق به أنْ يُنَادَى بأدوات النِّداء التي للبعيد. وكأَنْ يريد أنَّه مُنْحَطُّ المنزلة جدا، فهو لانحطاط منزلته بمثابة البعيد إلى الأسفل في جسده، فاللاَّئق

---

(١) قرأ الكسائي: ﴿ألا يَا اسْجُدوا﴾،.. وقيل: قرأ ابن عباس وعبد الرَّحمن السلمي والحسن وأبو جعفر وحميد الأعرج: ﴿ألا يَا اسْجُدوا﴾ -وسيأتي بيان ذلك مفصَّلا-. انظر: حجَّة القراءات (٥٢٦/١- ٥٢٧)، النَّشر (٣٣٧/٢)، الإتحاف (ص:٣٢٦)، إبراز المعاني من حرز الأماني (٣٣٥/٢)، معاني القرآن، للنَّحاس (١٢٦/٥)، المحرَّر الوجيز (٤٥٠/١)، تفسير أبي السُّعود (٢٨١/٦)، تفسير ابن جزي (١٠١/٢)، فتح القدير (١٥٤/٤)، مشكل إعراب القرآن، لمكي (٥٣٣/٢)، الإتقان (٥٢٧/١).

(٢) انظر: الإتقان (٥٢٧/١).

(٣) تقع (وا) في الندبة، وفيما مددت به صوتك، كما تمده بالندبة، وإنما أصلها للنُّدبة، وهي من الحروف التي تنبه بها المدعو كـ: (يا)، و(أيا)، و(هيا)، و(أي)، و(ألف الاستفهام). انظر: المقتضب، للمبرد (٢٣٣/٤).

به أن يُنَادى بأدَواتِ النِّداءِ التي للبعيد. وكأن يُرِيدَ التَّعبيرَ عن حَالةِ تَلَهُّفِهِ وشدّةِ طلَبِه، فهو بمثابة المستغيث الذي يمدُّ صوته في النِّداء، فيستعمل أدوات النِّداء التي للبعيد لما فيها من مدِّ الصّوْت وَطُول النَّفس معه. فيستعمل أدوات النِّداء التي للبعيد لما فيها من مدِّ الصَّوْت وَطُول النَّفس معه. وكأن يريد أنَّ المنادَى غافل شارد الذِّهن أو غير مستعدٍّ للاستجابة فهو بمثابة البعيد.

٣ - وقد يخرج النِّداء عن المعنى الأصليِّ الموضوع له، فيُسْتَعْمَلُ لدى البلغاء وغيرهم في أغراضٍ أخْرى غير النِّداء، وهذه الأغراضُ تُفْهَمُ من قرائن الحال أو قرائن المقال، فكلُّ حَرَكَةٍ نفسيَّةٍ ذات مشاعِرَ تَدْفَعُ الإنسان إلى التَّعبير عنها بنداء ما بطريقةٍ تلقائيَّة، ولو لم يشعر بأنَّ هذا النِّداء يحقق له مرجوًّا أو مأمولًا أو يدفع عنه مكروها.

كأن يستعمل النِّداء في الزَّجْر واللَّوم، أو التحسُّر والتأسُّف والتَّفجع والنَّدم أو النُّدْبة، أو الإغراء، أو الاستغاثة، أو اليأس وانقطاع الرَّجاء، أو التَّمني، أو التَّذكر وبثِّ الأحزان، أو التَّضجر، أو الاختصاص، أو التَّعجب، إلى غير ذلك"[(١)].

وقد خصَّت (يا) من بين حروف النِّداء بكونها لنداء البعيد المتوسِّط البعد فحسب، وقد ذكر ذلك على سبيل المثال: الصَّبانُ في (حاشيته على الأشموني)[(٢)]، ومن المتأخِّرين المعاصرين شيخ المفسرين الأستاذ الدُّكتور إبراهيم خليفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]. وسيأتي شرح وبيان ذلك، وكذلك ما يتعلَّق بأدوات النِّداء، والمستخدم في الخطاب القرآني من هذه الأدوات شرحًا تحليليًّا ومفصَّلًا.

(١) البلاغة العربيَّة، للميداني (١/٢٤٠-٢٤١).

(٢) حاشية الصَّبان على شرح الأشموني (٣/١٣٤)، وانظر: المقتضب، للمبرد (٤/٢٣٥).

(٣) تفسير سورة النِّساء (ص: ١٠٦).